

دراسات في الصحافة الوطنية على عهد الحماية

جريدة « المغرب » لمؤسها المرحوم سعيد حجي

بقلم عبد الصمد العشاب

العلم - الأحد 20 نونبر 1988

حول « دراسات في الصحافة الوطنية على عهد الحماية » ننشر فيما يلي الحلقة الأولى من (« جريدة المغرب » لمؤسها المرحوم سعيد حجي) وهي الدراسة الأولى المختصرة في ست حلقات في سلسلة البحث في صحافتنا الوطنية على عهد الحماية للباحث الأستاذ « عبد الصمد العشاب » الذي سبق أن نشرنا له على أعمدة هذه الصفحة في العام الماضي بحثاً في حلقات تحت عنوان: « من تاريخ الصحافة بمدينة طنجة » .
ونقرأ كعناوين للحلقات الست للدراسة التالية التي سننشرها تباعاً :

مقدمة وتعريف

المحاور الأساسية في جريدة « المغرب »

أخبار الثقافة من خلال ما نشرته جريدة « المغرب »

حركة التأليف والنقد الأدبي

قضية فلسطين كاهتمام أساسي للصحافة الوطنية بالمغرب

أخبار متفرقة لها دلالتها

الحلقة الأولى

مقدمة وتعريف :

كانت الصحافة الوطنية في عهد الحماية البغيض مدرسة للتوعية السياسية والاجتماعية ومراة تتبلور فيها طموحات المغاربة وأمانهم في تحقيق الذات المغربية والشخصية القومية، فواجهت بشتى الأساليب مناورات الاستعمار، وصدت مخططاته، وبرهن رجال الوطنية على كفاءة نادرة سواء على مستوى العمل أو التنظير، وامتزج العمل الصحفي بالتحركات السياسية ليكوّن في مجموعه برنامجا محكما يجعل من أوليات اهتماماته الخروج بالشعب المغربي من دائرة الجهل والتخلف، وتبصيره بمخازي الاستعمار، وتبيئته للمطالبة بحقه في الحرية والاستقلال، وتوعية بتاريخه المجيد وأصالته وعراقة جذوره في الحضارة والمجد.

من هذا المنطلق تعددت ألسن الدفاع بكل لغة تفهمها المنتديات الدولية، تجادل عن حق المغرب المنكوب في حرية أفراده واستقلال بلاده، وتحركت الأقلام لتوجيه الشعب نحو الطريق الصحيح للإيمان بالذات والعمل على التقدم.

وكانت جريدة « المغرب » موضوع هذه الدراسة إحدى المنابر الإصلاحية التي سارت في هذا النهج في ظروف تعتبر ظروفًا استثنائية في العالم لأنها كانت ظروف الحرب الكونية الثانية.

فبتاريخ 16 ابريل 1937 صدر العدد الأول من جريدة « المغرب » وهي جريدة يومية إخبارية سياسية تصدر مؤقتًا ثلاث مرات في الأسبوع، عدد صفحاتها صفحتان ثم أربع ثم ست، والأعداد الممتازة تزيد على اثني عشرة صفحة، صاحب امتيازها ومديرها الأستاذ المرحوم السيد سعيد محي، وهو من مواليد مدينة سلا بتاريخ 29 فبراير 1912، ينتسب

إلى أسرة من كبريات أسر سلا المشتهرة بالفضل والاحترام؛ ولما شب ظهر نبوغه، وتأججت وطنيته، فأسس الجمعية الودادية بسلا ثم رحل إلى انكلترا والشرق العربي وعاد إلى أرض الوطن ليعتمد على نفسه في تكوين حياته الثقافية. ويقول عنه الأستاذ المجاهد أبو بكر القادري في الترجمة الموسعة التي كتبها عنه: « ... برزت شخصية السعيد وهو في ريعان شبابه، فكانت له آمال واسعة في إصلاح بلاده وكان يهين نفسه التهيء الحدي والصارم لأداء رسالته نحوها » .

أصدر سنة 1937 جريدة « المغرب » وفيها برزت موهبته الصحفية وبقي مشرفا عليها باذلا كل جهوده فيها حتى توفاه الله إليه يوم 2 مارس 1942 . وكان من رواد الحركة الوطنية في نشأتها وتطورها، وكان له دوره مع باقي إخوانه المكلفين في سنة 1930 إثر صدور الظهير البربري، ودوره في تحرير وثيقة مشروع مطالب الشعب المغربي سنة 1934 ، ودوره في تتبع والقيام بكل حركة تستهدف إيقاظ الوعي الشعبي والدفاع عن البلاد اجتماعيا واقتصاديا وسياسيا.

وخطط المرحوم سعيد محي برنامج جريدته وتوجهاتها المستقبلية في افتتاحية العدد الأول بالتاريخ المذكور ذكر فيه أن الصحيفة:

(لا تطرق ناحية دون أخرى، بل تهتم بجميع نواحي الحياة المغربية المتطلبة للإصلاح ... وتؤمل الصحيفة أن تصبح لسان المغرب الحقيقي الذي يذيع أخباره ويعبر عن كل ما يدور في أوساطه.

ومن حيث الناحية الاجتماعية تبذل الصحيفة جهدها لكي يتحرر المغرب من كثير من العوائد الجامدة المضرة المناقبة للشرع.

ومن حيث الناحية السياسية تعمل على أن تجد صلات تفاهم بين الشعب والحكومة ... فللمغرب حقوق سياسية لا بد، مهما طال الزمن أو مهما حيل بينه وبينها، أن يدركها

ويحرز عليها، حقوق سياسية ترمي إلى أن يصبح الفرد ذا كرامة والجماعة ذات سلطة والحكومة في مركزها المحترم تدير الشؤون العامة لمصلحة الجميع.

ومن حيث الناحية الاقتصادية ستهتم بدراسة مشاكل المغرب وأزماته واضطراباته المالية وتبني السبيل أمام النشء الحديث فيعمل بأساليب العصر ليتحرر من قيود الخمول التي كبلته طويلاً.

وفي الناحية الفكرية ستفسح مجالها لشيوخ المغرب المطلعين وشبابه المثقف ... وترتبط الصلة بينهم وبين مفكري البلدان المتحدة معنا في اللغة والاتجاه .

هذا هو التوجه العام للجريدة مع ملاحظة التعميم الوارد في عدد من الفقرات لأن الرقابة لم تكن تسمح بقول كل ما يجب قوله، ويبقى على القارئ أن يفهم الكثير من بين السطور. ونظراً للمواقف التي كانت الصحيفة تقفها من السياسة الاستعمارية فقد تعرضت للتوقف الإجباري في كثير من المرات.

ففي الصفحة الأولى من العدد الحامل لتاريخ 4 فبراير 1939 كتب مدير الجريدة تحت عنوان (المغرب تستأنف الصدور) كلمة يذكر فيها غيبة « المغرب » ويذكر أن الظروف (... التي أرغمتنا على توقيف الجريدة عن الصدور لم تزدنا إلا إيماناً بخطتها وسعيها في بلوغ آمالنا التي هي الإصلاح في جميع نواحي حياة الشعب المغربي الذي تكالبت عليه عوامل الانحطاط والذي أصبح تحت تأثير تلك العوامل موهون القوى لا يسير خطوة إلى الأمام إلا ليرجع خطوات إلى الوراء ...)

ثم يشرح في العدد الموالي (101) نهج الإصلاح الذي يسعى إليه المغرب فيقول:

(إننا نطالب بالإصلاح لغاية واحدة: أن تصبح أمتنا ذات قيمة في مجموعها، إذ أنها الآن كمية مهملة لا ينتفع بها ولا تنتفع بنفسها ، فالتطور البشري فرض على الأمم حياة جيدة ... فمن الخير للمغرب وللدولة الحامية أن يحارب هذا الجهل ويقطع دابر هذا الظلم في المحاكم المغربية، وتعال الجماعات المغربية حرية تناسبها لتسترد وتترجل) .

لقد اهتمت صحيفة « المغرب » بنقل تطورات الحرب الكونية لأنها وجدت في ظروفها وركزت على نقل أخبار الحرب الأهلية الإسبانية التي كانت رحاها تدور بين الوطنيين والجمهوريين في الجبهات الكاتالونية، كما ركزت على انتصارات اليابانيين، ولم تهمل الحديث عن باقي العمليات العسكرية الأخرى في صفوف الحلفاء ودول المحور وأخبار الحكومات الفرنسية المتعاقبة وأخبار تنقلات المقيم العام الفرنسي بين المغرب والجزائر، زيادة على نشاط الإدارة الحامية داخل المغرب وخارجه. ولكن إذا عرفنا الظروف المحيطة بجريدة وطنية لا تغفل عنها عين الرقيب المتسلط، أدركنا أن إدارة الجريدة كانت تريد، وبكل الوسائل، الإبقاء على نبض الحياة في هذه الصحيفة لتواصل عملها في الإصلاح والتوعية.

وكانت للجريدة أبواب قارة كباب « الأخبار الخارجية » و « بريد الشرق العربي » و « أخبار وحوادث داخلية » و « اعرف وطنك » و « ما قل ودل » بالإضافة إلى التعريف ببعض الأقطار الإسلامية أو التي توجد بها أقلية إسلامية.

وفي مجال النشاط الوطني كانت الجريدة تقوم بتغطية شاملة للنشاط الملكي كلما قام جلالة المغفور له محمد الخامس برحلة إلى ناحية من نواحي المغرب.

وكانت لهجة الجريدة تتأرجح في مخاطبة الإدارة الحامية بين اللين تارة وبين العنف تارات كثيرة، وللقارئ هذا النموذج مما كانت تنشره من انتقادات بركن « أخبار وحوادث داخلية » ، ففي العدد 61 سنة 1937 تحت عنوان: « المكس الغريب » كتب مراسل الجريدة من الدار البيضاء بامضاء ابن الحسن ما يلي :

« يقولون إنهم قضوا على عهد الإقطاع وأتوا بدله بالحرية والمساواة وحسموا دابر الاستبداد ومعاملة القرون الوسطى، ويقولون ويقولون ولكن كل ذلك لا يطبقونه إلا فيما بينهم، ولا يعاملون به غيرهم، فالحرية والتمتع بالحياة والسعة في المعيشة كل ذلك لا يستحقه إلا المعمر؛ أما الأهلي فقد خلق ليركب عليه في قضاء المآرب وجلب الترف » .

ثم تبين المراسلة نوع هذا الاستبداد وهو فرض المكوس الباهظة على أهل البوادي الذين يجلبون منتوجاتهم لبيعها في أسواق المدينة، وتتهي المراسلة بهذه العبارة: « لقد نزلتم به إلى أقصى حد في الاستعباد وما خلقوا إلا أحرارا، فما لكم لا تكادون تفقهون حديثا » .

ثم هناك ركن « ما قل ودل » الذي كان يكتب فيه الأستاذ أحمد زياد بأسلوبه الهزلي اللاذع، وهو كله انتقاد للأوضاع الاجتماعية والسياسية في زمن الحرب. وهو ركن ينبغي الاعتناء بجمعه ودراسته واستخراج النتائج منه، وعلى الأخص دراسة المغرب إبان الحرب العالمية الثانية.

وعندما توفي الأستاذ سعيد محي، تولى إدارة الجريدة الأستاذ قاسم الزهيري، وذلك ابتداء من العدد 979 بتاريخ 16 يونيو عام 1942، ولكنها لم تستمر طويلا إذ سرعان ما احتجبت.

أما آخر عدد وقع عليه نظري في مجموعة جريدة « المغرب » فهو العدد 1416 بتاريخ فاتح يناير 1944. وهي المجموعة التي توجد بمكتبة أستاذنا العلامة عبد الله كُنون بطنجة، ومنها استفدت في إخراج هذه اللوحة عن تلك الجريدة الوطنية الصميمة بمواقفها وتحدياتها وباحثوائها لحملة الفكر والمعرفة ببلادنا شباب الأمس وشيوخ اليوم أمد الله في عمر الباقيين وجازى خير الجزاء من رحل منهم إلى عالم البقاء.

الحلقة الثانية

المحاور الأساسية في جريدة « المغرب »

وضعية التعليم القومي والتعليم بصفة عامة

العلم - الأحد 27 نونبر 1988

من الأهداف الاجتماعية التي اهتمت بها جريدة « المغرب » كمبدأ أساسي للنهوض بالأمة إبان عهد الحماية قضية التعليم. وكان رواد الإصلاح من رجال الحركة الوطنية قد أخذوا على عاتقهم - وهم في خضم مجابهة الاستعمار وأعوانه - نشر الوعي بين طبقات الشعب سياسيا واجتماعيا واقتصاديا، إذ في ذلك الوقت بدأت مشاريع إقامة المؤسسات الإسلامية الحرة تظهر في أمهات المدن لصد تيار التغريب والفرنسة التي كانت الإدارة الاستعمارية جادة في تنميتها وإمدادها بكل مقومات النجاح، وكان التعليم القومي يتبلور في جامعة القرويين بفاس والكلية اليوسفية بمراكش، إلا أن المناهج فيها كانت عميقة وطرق التلقين للمواد كانت عتيقة والمردودية بعيدة عن تطور العصر ومقتضياته، الأمر الذي حتم بروز حملة إصلاح للحفاظ على رموز الأمة - الإسلام والعروبة والشخصية المغربية - فانبرت أقلام المصلحين تهاجم تارة بعنف ومرارة، وتارة أخرى بتقديم البديل الكفيل بالتقدم؛ ولأن جامعة القرويين كانت مهد العلم وتخريج العلماء، وفيها محطة الاطمئنان عن حياة اللغة العربية والدفاع عن الإسلام، فمن اللازم أن تتكاثف الجهود لجعلها في مستوى المسؤولية التي أنيطت بها منذ تأسيسها في بداية القرن الثالث الهجري. من منطلق هذه الأفكار ظهرت على صفحات جريدة « المغرب » مقالات همها الأساسي إصلاح القرويين، فكتب العلامة السيد محمد زنيير (عدد 100 و 101) مقالا تحت عنوان: « القرويون كلية مغربية لا فاسية فحسب » تطرق فيه إلى قضية تطوير الأسلوب

الدراسي وتغيير المناهج لولا كتبها لروح العصر منددا بضالة ما ينتجه علماء هذه الجامعة وما هم عليه في دروسهم من طرق عقيمة في التبليغ والفهم، متسائلا « هل لكثرة علماء القرويين من يقظة بعد هذا السبات العميق، وهل من تطور بعدما تطورت كتلات علماء القاهرة ودمشق وبغداد وتمثلت للتطور كتلة الزيتونة » .

كما نشر الكاتب نفسه (عدد 114 بتاريخ 8 مارس 1939) مقالا بعنوان: « القرويون كلية مغربية من هو المسؤول عن النهوض بها ؟ » تطرق فيه للمشاكل التي تتخبط فيها هذه الجامعة. كما كتب في الأعداد الموالية عن نفس الموضوع منطلقة الغيرة على هذا التعليم الذي كان آنذاك مرآة المغرب الحضارية والفكرية.

ولما شرع المغفور له جلالة الملك محمد الخامس في نظام الإصلاح للمجلس العلمي بالقرويين والعدالة والقضاء كتب نفس الكاتب أيضا مقالا في العدد 346 أبدى فيه تفاؤله بأن هذه الخطوة المباركة ستكون لها نتائجها على مستقبل هذه القلعة العلمية العتيقة.

ونشرت الجريدة في نفس الموضوع عددا من المقالات لمؤسساها المرحوم سعيد حجي الذي كان يمتاز، إلى جانب الروح الوطنية، بالعقلانية العلمية والنضج المعرفي.

ففي افتتاحية العدد 112 بتاريخ 3 مارس 1939 حث طلبة القرويين على الإقبال على تعلم اللغات الأجنبية لأنها تفتح لصاحبها آفاقا كبيرة قد لا تتوفر له إذا كان مقتصرًا على اللغة العربية وحدها، مستدلا بأقطاب من مصر والبلاد العربية من الذين أضافوا إلى تزلعمهم في اللغة العربية إتقانهم للغة أجنبية أخرى أمثال طه حسين والعقاد وأحمد حسن الزيات وخليل مردم والجابري محتما بهذه الفقرة:

« فهل لنا أن نؤمل أن يوجد من بين طلبة القرويين من يتجه هذا الاتجاه فيضيف إلى ثقافته في العلوم الإسلامية والعربية ثقافة عصرية. وبذلك يضع الحجر الثانية في تكوين جيل جديد يجمع بين الماضي الرائع والمستقبل الباسم لحياة المغرب الفكرية » .

وفي العدد 122 تطرق سعيد حجي في افتتاحيته إلى نظام الامتحانات في القرويين مركزا على ثلاث نقاط:

أ) إن الاختبارات الفصلية ليس لها مفعول في انتقال التلاميذ من قسم إلى آخر، بل على الطالب أن يستعد للامتحان في نهاية السنة الدراسية للفوز أو الرسوب.

ب) يقتصر نظام الامتحانات على دورة واحدة، فإذا رسب الطالب ضاعت منه سنة ولا تعطاه فرصة لدورة ثانية.

ج) أيام الامتحانات غير منتظمة ولا يعلن عن مواعدها إلا قبل إجرائها بأيام وقد تؤخر عن أوقاتها المعلن عنها؛ وكذلك الأمر بالنسبة لإعلان النتائج.

ومن هذه الملاحظات ندرك أن المرحوم سعيد حجي كان على خبرة بالأنظمة التربوية الحديثة التي لا يؤمن أغلبها بالامتحان كقياس لخبرات التلاميذ ومحصلات معارفهم. ونستنتج كذلك أن نظام الامتحانات عندنا لا يزال إلى حد الآن بسقطاته وأخطائه دون أن نستفيد من تجارب من سبقونا في هذا الميدان فاكتشفوا مؤهلات التلاميذ ووجهوهم الوجهة اللائقة والمطلوبة. ولعمري متى سنبقى في هذا التخبط رغم أن مقاليد أمورنا بأيدينا منذ الاستقلال سنة 1956 .

لقد شهدت فترة الأربعينيات بخصوص موضوع التعليم بادرة إصلاح لناهج التعليم والإدارة بالقرويين بأمر وإشراف محمد الخامس رحمه الله، وهو يدخل في باب أعماله الإصلاحية إلى جانب جهاده السياسي والاجتماعي للرفع من مستوى المغرب الذي كان يرسف في قيود السيطرة المباشرة للاستعمار.

ففي زيارته لفاس سنة 1940 استقبل العلماء وصرح لهم بقوله:

« إن القرويين حرة في العلم، وإنما النظام ضروري، ونحن إنما نراعي العلم لا الأفراد. وإني مستعد لكل إصلاح، ويجب أن تكون شؤون الجامعة بمعزل عن الشخصيات؛ فلقد بذلت كل مجهوداتي لتحسين أحوالها وتقدم خطواتها إلى الأمام ونرجو أن تتوفق إلى ذلك

أكثر مما توقعنا الآن » .

وبادرت جريدة « المغرب » إلى إبراز هذه الخطوات الإصلاحية وانتقاد الذين لم ترقهم أو وجدوا في تطبيقها عنتا. فنشرت في العدد 410 بتاريخ 15 مايو 1940 تعليقا بقلم مديرها تحدث فيه عن تطبيق النظام بالقرويين، وحذ ذلك الإجراء الذي سيضع حدا للتسيب الذي كانت عليه جامعة القرويين. كما تضمن العدد المذكور مقتظفا لمحاضرة عن جامعة القرويين في عهد محمد الخامس ألقاها بإذاعة الرباط أحد المترجمين بإدارة الأمور الشريفة. ونشر في نفس العدد كذلك خبر وضع حجر الأساس لمكتبة القرويين، كما نشرت الصحيفة في عددها رقم 705 وصفا لزيارة محمد الخامس للقرويين وخطاب سمو ولي العهد (الحسن الثاني) في طلبة الكتاتيب القرآنية.

وورد في العدد 710 مقال بعنوان: « يوم يعد غرة في جبين تاريخ الإصلاح بالمغرب » تعرض فيه كاتبه إلى اجتماع جلالة الملك محمد الخامس بعلماء القرويين من كل المستويات في الدار العالية (القصر الملكي) وأمره لهم بمراجعة النظام العلمي (البرامج والدروس) وإعادة النظر فيه فصلا فصلا بيدي كل واحد من الحاضرين بغاية الحرية ما يبدو له ليبقى الصالح ويحذف غيره.

كما ورد في العدد 715 نص الجزء الأول من المذكرة التي رفعها طلبة القرويين إلى علم الملك حول مدى تطبيق النظام الإصلاحي الذي أمر به جلالتة؛ وفي هذه المذكرة (المنشور جزؤها الثاني بالعدد 716) انتقاد لعدد من الخلفيات التي أبرزها تطبيق النظام خصوصا لدى بعض المدرسين الذين تنقصهم الكفاءة في المواد التي كلفوا بتدريسها. واقترحت المذكرة زيادة بعض العلوم الضرورية واستبدال بعض الكتب المقررة وزيادة البعض منها وضرورة إسناد كل فن إلى من يتقنه.

حقا، لم يكن طلبة القرويين بمعزل عن المشاركة في تبني الإصلاح والسمهر على تطبيقه كما لم يكونوا بمعزل عن اتخاذ المواقف فيما يحدث من قرارات في ميدان التعليم.

ففي العدد 110 بتاريخ 27 فبراير 1939 نشرت جريدة « المغرب » احتجاجا لطلبة القرويين إثر إعلان المجلس الأعلى للتعليم تأهيل حملة دبلوم المدارس العربية الفرنسية للإمخراط في سلك القسم العالي بالكلية. ويبدو أن هذه المبادرات لم تكن جماعية أو تعبر عن صوت الطلبة أجمعين لأن بعض ما نشر في جريدة « المغرب » من انتقادات لمستوى طلبة القرويين وبعض الأساتذة بها لا ينبئ عن الوعي الطلابي وشمولية اتخاذ المواقف الجماعية. فقد نشرت الجريدة بعددها 118 مقالا بإمضاء (أبو المذيع) هاجم فيه طلبة القرويين نكتفي بذكر فقرته الأولى التي تقول:

« عجيب، والله، أبناء القرويين لا يتذوقون لذة الخيال في الشعر العربي ولا يفهمون ما اشتمل عليه من وصف بديع وتمثيل بارع وتشخيص بلغ النهاية في الدقة، وبالمرّة لا يساق إليهم حديث من هذا النوع لأنهم لا يعيشون في هذا العالم ولا يعلمون معنى الوجود فيه » .

وأبو المذيع هذا كتب أيضا في العدد 120 مقالا لاذعا بعنوان: « من مضحكات القرويين » استهله بقوله:

« توجد في القرويين غرائب ومضحكات يضحك لها الطفل ويتفجع لها الحليم » . والغرض بذلك هو أنه بعد إدخال النظام الجديد على القرويين واعتماد عدد من الأساتذة برواتب قارة تبين للمجلس العلمي عدم كفاءة بعض الأساتذة فأقاموا عنهم نوابا يتقاسمون الراتب معهم. والمتمعن في هذه الانتقادات التي، وإن كان مردها إلى حسن نية كاتبها، فإنه يجدها من المبالغة بمكان. كيف وجهاد أبناء القرويين في عهد الاستعمار جهاد كبير، وهل كانت أغلب القيادات الوطنية إلا من خريجه والمثقفين بثقافته.

ونعود إلى الشق الثاني من التعليم وهو التعليم العمومي أو تعليم الإدارة، فنجد جريدة « المغرب » تتحدث عنه كما تحدثت عن التعليم القومي وفق خطة الإصلاح التي كانت تدعو لها.

ففي افتتاحية العدد 119 بتاريخ 20 مارس 1939 تحدث سعيد حجي تحت عنوان:
« الأستاذ العربي هل نحن في غنى عن جلبيه من الشرق العربي ؟ » عن الأساليب التي
تقدم بها الدروس للتلاميذ من طرف المعلمين والأساتذة المغاربة وقال:
« ... فمشكلة الأستاذ العربي بالمغرب ليست مشكلة معرفة ولكن مشكلة أسلوب،
والأسلوب اليوم ينبني على نظريات علمية وقواعد أساسية في الاختصار والتلقين
والتطبيق والتدريس. وبمجموع ذلك أصبح أمام الأستاذ علم جديد هو أسلوب التعليم،
ولن يستطيع المثقف المغربي أن يلم بهذا العلم الجديد إلا بدراسته؛ لذلك يجب أن نجلب
أساتذة من الشرق العربي ريثما تصبح لدينا طائفة من الأساتذة المغاربة تجمع بين العلم
وأسلوب تلقيه على الطريقة الحديثة » .

إن هذه البادرة قد أخذت بها القيادة الوطنية في شمال المغرب الذي كان خاضعا للنفوذ
الإسباني فأرسلت عددا من البعثات إلى الشرق العربي للدراسة، واستجلبت عددا من
الأطر التعليمية من مصر وغيرها للتدريس بالمدارس الثانوية. وكانت الفائدة من ذلك كبيرة
حيث بقيت للغة العربية حيويتها، وألفت بها الكتب وفق المناهج، فكانت منطقة الشمال
بذلك حصنا للغة العربية لم تتفوق عليها لغة المستعمر ولم يقع تزويد الشخصية العربية
المغربية.

أما في المنطقة التي كانت تحت النفوذ الفرنسي، فإن عملية التزويد وفرض لغة المستعمر
كانت تتخذ عددا من الواجهات، وأهمها فرض الحصار على اللغة العربية ومحاربة مناصريها
وإظهار أستاذ العربية بمظهر العاجز فاقد الشخصية وقصر الدراسة العليا على الأجانب، فلا
يجوز للمغربي أن يتجاوز حدا مخططا له إلا بمعجزة، بل حتى شهادة الدبلوم التي كان
الطلبة في الثانوي يحرزون عليها لم تكن لها قوة الولوج إلى سلك التعليم العالي.
وهذا ما أشار إليه سعيد حجي في افتتاحية العدد 125 بعنوان: « ضرورة إحداث باكوريا
مغربية » وذلك بمناسبة اجتماع الأساتذة الفرنسيين بالنادي المدرسي بالرباط لدراسة

شؤون التربية والتعليم. وتطرقنا الافتتاحية إلى الأبحاث والدراسات التي ساهم بها أساتذة كبار في موضوعات التربية والتعليم، ثم قالت:

« فمن المعلوم أنه منذ وجد التعليم الحديث بالمغرب، كان المتخرج من مدارسه الثانوية يحصل على شهادة تسمى الدبلوم، وقد اتضح أن تلك الشهادة لم تكن ذات قيمة في نظر الجامعات الفرنسية لأنها لم تعترف بها كشهادة ثانوية، بل إن الإدارة التي وضعتها بالمغرب لم تكن هي أيضا تعترف بها كشهادة ذات قيمة. وقد طالب المغاربة بتطبيق نظام البكالوريا الفرنسية في المدارس الثانوية، فنفذ مرغوبهم ولكن اختلاف اسم الشهادة أقفل الباب أمام كل طالب مغربي نال الدبلوم وأراد أن يهيئ مستقبله على أساس مهنة حرة تدعم رجولته » .

وفي العدد 126 واصل سعيد محي حديثه في نفس الموضوع قائلا:

« ... فأساس إحداث باكالوريا مغربية هو التساوي بين العربية والفرنسية في حصص الدراسة والاهتمام في الاختبارات السنوية والفصلية واختيار أبرع الأساتذة » .

نعم، لقد اكتفت الإدارة الاستعمارية بتأسيس مدرسة عليا للغة العربية وآدابها واللهجات البربرية، وذلك سنة 1912، ثم تغير اسم المؤسسة لتصبح سنة 1921 تحمل اسم « معهد الدروس العليا » بالرباط. (انظر العدد الممتاز رقم 313 فيه تعريف موسع بهذه المؤسسة من حيث هدف إنشائها ومهمة الحاصلين على شهادتها وفروعها بأهم المدن المغربية) .

وقد سبقت الإشارة إلى أن ضغوط الرقابة على الصحيفة جعلتها تالين الإدارة الحامية، وذلك بنشر نشاطها في مختلف الميادين بالمغرب، ومنه فيما يخص موضوع التعليم تلك المراسلات التي كانت تنشرها عن إنجازات إدارة المعارف؛ ولكن الذكاء الصحفي كان يبطل في نفس الوقت تلك الادعاءات بالإنجاز، ومثاله ما نشر بالعدد الممتاز رقم 393 من إحصائية لعدد التلاميذ المغاربة المتمدرسين بالتعليم الثانوي العمومي، وعددهم كما جاء في الإحصائية 313 ذكور و 30 إناثا من بين مجموع 5111 تلميذا وتلميذة في مجموع

المؤسسات الثانوية. وكان لسان حال الإحصائية يقول:

« إن ما نشر عن إنجازات الاستعمار في حقل التعليم كذب وبهتان » .

من خلال ما سبق نجد أن صحيفة « المغرب » كانت مترصدة لكل مستحدث في ميدان

التعليم تجادل وتنتقد بعنف تارة ومناقشة هادئة تارة أخرى، وذلك تبعا للظروف وخضوعا

لمنطق مؤسسها الذي لم يكن يتحدث في فراغ ولم تكن عاطفته تسبق عقله.

المحاور الأساسية في جريدة « المغرب »
أخبار الثقافة من خلال ما نشرته جريدة « المغرب »

العلم - الأحد 11 دجنبر 1988

اهتمت الصحيفة بإخراج أعداد ممتازة تضم بين دفتيها أبحاثا ومقالات في الأدب والتاريخ والعلم، وتعد تلك الأعداد وثيقة لرصد الحركة الثقافية بالبلاد في تلك الفترة. وهي جديرة بدراسة خاصة لتسجيل الاهتمامات الثقافية المتنوعة عند شباب ذلك الجيل. والذي نريد الإشارة إليه هنا هو أخبار الأدب والثقافة بصفة عامة في جريدة « المغرب » التي كانت تتابع بشكل متواصل كل هذه الأخبار سواء في الجانب الوطني أو الجانب الإداري وقد سبقت الإشارة إلى هذا النوع من الاعتدال الذي كانت تأخذ به الجريدة في فترات من حياتها.

لكن قبل إيراد تلك الأخبار التي تعكس مرآة الثقافة في المغرب قبل خمسين عاما، أود أن أسجل أسماء الكتاب الذين ظهر لهم إنتاج على صفحات الجريدة سواء في أعدادها العادية أو الأعداد الممتازة وهم السادة العلماء والأساتذة شكيب أرسلان، عبد الله كُنون، سعيد حجي، أحمد زياد، أبو بكر زنيير، أبو بكر القادري، محمد بن علي الدكالي، محمد باحيني، أحمد باحيني، عبد الكبير الفاسي، أحمد بن غبريط، ادريس الكتاني، الهاشمي الفيلاي، أحمد الشرقاوي، محمد العبدوي الكانوني، محمد الناصر الكتاني، عبد القادر حسن، علال الجامعي، محمد بن ابراهيم شاعر الحمراء، عبد الله ابراهيم، محمد الفاسي، عبد السلام العلوي، عبد الغني سكيروج وقاسم الزهيري بالإضافة إلى الذين يرمزون إلى أسمائهم ومنهم من سبق ذكره من بين هذه الأسماء. وقد تنوعت موضوعات هؤلاء الكتاب من

إبداع في الشعر والقصة والمقالة الأدبية إلى كتابات في تاريخ المغرب وحضارته وكتابات في الفقه إلى كتابات في الإصلاح الاجتماعي.

واهتمت الصحيفة إلى جانب نشر الإبداعات والبحوث بنشر ما يؤجج روح البحث وبنمي الإبداع، وأعني بذلك حركة النقد التي ظهرت على صفحات هذه الجريدة. أما أخبار الثقافة فكانت شاملة لكل ما يجد في هذا الميدان سواء كان عرضاً لنشاط ناد أدبي أو إخباراً بمحاضرة أو خبراً عن نشاط مسرحي أو موسيقي أو نبأ بوفاة رجل فكر أو غير ذلك مما يتصل بالموضوع.

وأهم ما يتصدر تلك الأخبار نشاط النادي الأدبي بسلا الذي كان يرأسه الأستاذ أبو بكر الصبيحي، وكان ينظم باستمرار مسامرات يجتمع فيها المثقفون لسماع محاضرة أو إجراء مناقشة في موضوع أدبي أو اجتماعي، وكان المثقفون الشيوخ يساهمون في إثراء تلك المسامرات بما يلقونه من محاضرات وما يديرونه من ندوات.

كما اهتمت « المغرب » بنشر ما تجود به قرائح الكتاب والشعراء كلما فقدت الحركة الفكرية أحد أعلامها من الصنفين، وفي هذا الباب نذكر حفل الأربعين لتأبين العلامة المؤرخ السيد محمد الكانوني المتوفى في يناير 1939 .

وعندما التحق العلامة السيد عبد الرحمن القرشي بربه اعتنت الجريدة بنشر حلقات من ترجمة حياته كتبها أحد تلاميذه وهو الأستاذ أحمد الشيبهبي ابتداء من العدد 128 . كما خصصت الجريدة في بداية صدورها سنة 1937 مقالات ضافية عن حياة المرحوم محمد حصار أحد رجال الحركة الوطنية الذين عملوا بتفان وإخلاص من أجل بث الشعور بالحمية الوطنية واستلهم التاريخ الذهبي للمغرب عبر عصوره.

وكتب شاعر الحمراء المرحوم محمد بن ابراهيم ترجمته بقلمه (عدد 396) وفيها يذكر الشاعر عن نفسه أنه ولد في مستهل عام 1918 بمراكش وحفظ القرآن الكريم والمتون العلمية، ومنها مختصر خليل في الفقه المالكي. ودرس بكلية ابن يوسف بمراكش ثم

بالقرويين، واهتم بالأدب. أما آثاره فيقول عنها:

« أما آثاري، فليست لدى من آثار إذا أنا استثنيت معارضي للزوميات أبي العلاء المعري التي تقع في ثلاثة آلاف وخمسمائة وستين بيت وديوان شعري الذي كان يمكن أن يكون ضخماً جداً لو أن جميعه في حوزتي، ومساجلات لي مع شعراء مصر والحجاز أفردتها من رحلتي بتؤليف صغير » .

وفي العدد 637 (1941) أخبرت الجريدة بمولود في أسرة الفكر المغربي وهو صدور مجلة « الثقافة المغربية » ؛ وهذه المجلة تنتسب إلى أسرة جريدة « المغرب » (فإن الأسرة التي ساهمت في تحريرها، أي أسرة « المغرب » ، هي التي ستساهم في تحرير المجلة الجديدة) .

وفي نفس العدد إعلان غريب يتصل بموضوعنا عنوانه: « من يبين؟ » نورد نصه لطرافته:

« يتبرع الشاعر (عبد السلام العلوي) صاحب القصيدة (يوجد نصها بالعدد) بمائتي فرنك على من يصوغ قصيدة على نمط قصيدته في الوزن وترتيب الأبيات والقوافي يبين فيها الحالة النفسية الموصوفة بالقطعة وسبب الحزن المتجلي فيها، وأول القصيدة:

ما لقلبي عاد يشكو وينوح غارقاً أغدو بدمعي وأروح
هو حزن هو حب هو شك هو لا شيء ولكني أنوح

إنني أجهل ما بي يبين

وفي العدد 640 بحث عن فن التمثيل بالمغرب كتبه الأستاذ علي محمد ملين يحتوي على معلومات قيمة أقتصر على الجانب التاريخي منها. فقد ذكر الكاتب أن أول فرقة مصرية حضرت إلى المغرب كانت برئاسة الأستاذ عز الدين (؟) وذلك سنة 1922 ومثلت رواية « مجنون ليلى » بسينما أبولو، وكان اتصال الشباب الرباطي بهذه الفرقة مدعاة لأن تشير

فيه رغبة التمثيل. وفي سنة 1928 مثلت رواية صلاح الدين الأيوبي بسينما النهضة. واهتمت الجريدة كذلك بنشر نشاط جمعية الرابطة الفكرية بسلا؛ ومن جملة ذلك تنظيمها لندوة عن مشاكل الزواج شارك فيها عدد من الأدباء من فاس والدار البيضاء والرباط إلى جانب أعضاء الجمعية، وتم في نهاية الندوة والاحتفال الموافقة على رفع عريضة لجلالة الملك بتحديد المهور.

ففي العدد 758 (1941) نشرت الجريدة إعلانا مضمناه أن الجمعية ستقيم حفلة أدبية لدرس مشاكل الزواج، وذلك بمناسبة زفاف أحد أعضائها ويقول الإعلان:

« تحوط أوساطنا الاجتماعية بعض المشاكل العويصة التي جعلت البيت المغربي في اضطراب دائم واختلال مريع أثقلت كاهله العوائد الضارة وقضت عليه التقاليد السخيفة فعملت بانهباء صرح العائلة المغربية إلى الحضيض »

ويشير الإعلان إلى أن الأدباء لا يهتمون بهذه القضية التي هي من صميم تهذيب المجتمع، لذلك ارتأت الرابطة إقامة هذه الندوة التي كانت من صميم الاحتفال بزفاف أحد أعضائها. لكن الأستاذ زياد الذي كان من بين الحاضرين في الندوة لم يسلم المتخلفون عن الدعوة من لسانه، فنشر في ركن « ما قل ودل » تنكيئا بهم (إنهم أهل بطون والحفل حفل فكر لا أقل ولا أكثر) . فانظر كيف كان المثقفون يهتمون، وفي ظروف قاسية وكيف أصبحت اهتماماتهم هامشية رغم تحسن الظروف والأجواء الملائمة للإصلاح.

ولم تكتف الصحيفة بنشر أخبار الثقافة ورجالها بالمغرب فحسب، بل كانت تهتم بكل حدث ثقافي خارج الوطن. فعندما مات طاغور شاعر الهند، أخبرت الجريدة بوفاته، ونقلت إلى القراء بعض الأضواء عن حياته وأدبه، كما أخبرت بوفاة الكاتب والعالم المصري طنطاوي جوهرى (1940) صاحب المؤلفات الكثيرة، ومن أشهرها تفسير القرآن الكريم في 24 مجلدا، وعرفت به تعريفا يليق بمكانته العلمية.

كما اهتمت بنشر نشاط نادي قدماء اليوسفية بالرباط الذي كان يرأسه الأستاذ عبد الحليل

القباج، ومن جملة ذلك قيام النادي بتخليد ذكرى مرور 800 سنة على وفاة الجغرافي الكبير الشريف الإدريسي. خلدت هذه الذكرى بقاعة الغرفة التجارية بالرباط (توجد تفاصيل الذكرى وأسماء المحاضرين بالعدد 863 لسنة 1941) .

ويدخل في موضوع هذا المحور كذلك ما كانت تنشره الأعداد الثقافية المتأخرة من أبحاث هامة تتناول التاريخ والتشريع والفلسفة والأدب والاجتماع، وهناك أعداد خاصة بموضوع واحد كانت إدارة « المغرب » تصدرها بمناسبة من المناسبات.

وعلى سبيل المثال عدد 964 بتاريخ 29 مايو 1942 الخاص عن مراكش الحمراء، وذلك بمناسبة زيارة جلالة الملك محمد الخامس لعاصمة الجنوب. وعدد 680 بمناسبة الزيارة الملكية لمكناس وسجلماسة وفاس وعدد 719 لزيارة الملك للأطلس. وهذه الأعداد الخاصة تحتوي من المعلومات التاريخية والاجتماعية عن المدن والنواحي المذكورة الشيء الكثير.

ولما مات مدير الجريدة المرحوم سعيد محي سنة 1942 توالى الأعداد تباعاً تتقل أصداء وفاته وأقوال المفكرين عنه وما قيل في تأبينه من الشعر والنثر.

ولا ننسى ذكر ميزة أخرى تضاف هنا، وهى التعريف التاريخي والجغرافي لأهم المواقع العسكرية مثل المدن والحصون والأقطار التي تقع في قبضة الاحتلال سواء من طرف الحلفاء أو الألمان إبان الحرب العالمية الثانية.

وكان بالجريدة كذلك ركن دائم تحت عنوان: « اعرف بلادك » خاص بالحديث عن نواحي المغرب بصفة عامة.

والآن وقد أعطيت نظرة عن الجانب الثقافي في جريدة « المغرب » أختتم بهذا الخبر الغريب الذي أوردته الصحيفة بعددها رقم 1297 لسنة 1943 ، فقد نشرت نبأ وفاة الأستاذ عباس محمود العقاد نقلاً عن إذاعة القاهرة، وجاء في المراسلة أن الراحل الكريم قد شيع في مشهد عظيم حضره رئيس ديوان الملك فاروق وكبار أدباء مصر والبلاد العربية من سوريا ولبنان والعراق. وقيلت كلمات رثائية عند قبره أبرز الأدباء فيها نواحي العبقرية

في شخص الفقيد الذي توفي عن سن تناهز 54 سنة.

ولكن العقاد توفي بعد هذه المدة بواحد وعشرين سنة إذ كانت وفاته الحقيقية في 12 مارس 1964 ولست أدري أكذبت الجريدة هذا الخبر فيما بعد أم أنها لم تفعل لأن المجموعة التي طالعتها منها تقف عند العدد 146 سنة 1944 وليس فيها شيء من ذلك.

والخبر بتفصيلاته المذكورة يستدعي الثير من الغرابة لا من نشره في الجريدة بل من إذاعته من محطة القاهرة لأن الجريدة ناقلة عنها، أمكن أن يكون الخبر من باب دعاية دول المحور، وقد كان العقاد من أشد الحاملين على سياسة هتلر، عبر عن ذلك شعرا في ديوانه (أعاصير مرب) ونثرا في كتابه (هتلر في الميزان) ولما أحس بحيوش الألمان تدنو من حدود مصر سنة 1942 فر إلى السودان ولم يعد إلى مصر إلا بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية.

الحلقة الرابعة

المحاور الأساسية في جريدة « المغرب »

حركة التأليف والنقد الأدبي

العلم - الأحد فاتح يناير 1989

التأليف:

في العدد 120 الصادر بتاريخ (22 مارس 1939) تحت عنوان « التأليف بين علماء المغرب المعاصرين » كتب العلامة أبو بكر زبير مقالا يتحدث فيه عن حركة التأليف بالمغرب معلقا على ما ورد في أحد المقالات من استدلال بما كتبه العلامة محمد كرد على وزير المعارف بسورية آنذاك مشيدا بالنهضة العلمية بشمال افريقيا. ويرى السيد زبير أن حركة التأليف في المغرب على الخصوص لم تشهد أى ازدهار. ففي ظرف عشرة أعوام كاملة لم يظهر لعلمائنا ومثقفينا سوى أربعة تأليف من بينها كتاب « الفكر السامي » للعلامة الحجوي، وهذا لا يعد تقدما ولا نهضة إذا قيس بما تنتجه الدول العربية في الميدان. وذكر السيد زبير أن الكتب والنشرات والجرائد التي تروج في أوساط المثقفين بالمغرب كلها من الشرق ولا أثر للمغاربة بينهم موعزا ضعف ذلك إلى هبوط مستوى القرويين وعزوف علماءها عن هذا الأمر.

ثم في العدد 122 تحت نفس العنوان السابق رد لاذع على مقال لم أجده من بين الأعداد التي تحت نظري يعير صاحب الرد كاتب المقال بأنه من أولئك الدبلوماسيين الذين تم قبولهم في القسم النهائي من كلية القرويين وبأنه لا يحسن الكتابة باللغة العربية، فبالأحرى أن يحسن الكتابة عن التأليف وحركته بالمغرب. وهذا الرد نقد عنيف لطائفة من الشباب الحاصلين على دبلوم الدراسات العليا والذين خول لهم قانون إدارة المعارف القبول بالقسم النهائي بالقرويين في محاولة لخرصة ذلك التعليم.

إننا نلاحظ بعد مضي خمسين عاما على هذا الموضوع أن حركة التأليف خلت أشواطاً في التقدم، ولكن حرية النشر وانعدام النقد أدت إلى ظهور كتب وصحافة لا يمكن أن يقال عنها أكثر من أنها لا تعكس فكراً أصيلاً ولا تدل على نافع. نعم لا جدال في أن البقاء للأصلح، وأما الزبد فيذهب جفاء، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض.

النقد

دأبت جريدة « المغرب » على تخصيص عمود بعنوان « ما قل ودل » يجمع بين السياسة والأدب والاجتماع، يكتب فيه الأستاذ أحمد زياد بأسلوبه الساخر. وهذا العمود حري بدراسة تتناول عنصر النقد عند أدبائنا في ذلك الحين، الأمر الذي نفتقد الآن لا في باب الجد ولا في باب الهزل. وسوف لا أقصر وأنا أستعرض موضوعات النقد المنشورة في صحيفة « المغرب » على الجانب الأدبي أو السياسي أو غيرهما بل كل ذلك على وجه العموم.

وما يطالعنا في هذا الباب خبر من طنجة عن خطيب بأحد المساجد موضوع خطبته « الطاعون » - وهي من الخطب الرهونية - ويبدو من موضوع الخطبة أن طنجة في سنة 1939 كانت تعاني من هذا المرض أو أنه بدأ يفسو فيها فيلاحظ الخبر المنشور أن الخطيب يلحن لحنا فاحشا،

« ... فلا تسمع جملة معربة اللهم إلا إذا كانت آية قرآنية لأن الخطيب من حفظة القرآن، ولا ريب، وهذا في مدينة من أهم مدن المغرب، لا في بادية ولا قرية، بل في طنجة الذي أخذ رحلتها اللحن عن خطيب البصرة معقل النحو والنحاة، فليت شعري متى يصلح أمر المسلمين وتستقيم قناتهم فيعطون القوس باريها ويسكنون الديار بانيها » ثم في العدد 593 (1941) نقرأ رداً يحمل المجاملة في مطلعها والعنف في ختامها، وهو رد الأستاذ ادريس الكتاني على مقال أدبي للأستاذ عبد الله إبراهيم الذي نشر بعنوان : « طرائف مطوية من أدبنا » تحدث فيه عن مقامة الارتياح المغنية عن الراح لابن حاتم

العالمي. ولكن الأستاذ ابراهيم لم يذكر اسم مؤلفها ظنا منه أن المؤلف مجهول معتبرا أنها من الأدب المغربي الذي يجب البحث عن دوائه، وكان ختام رد الأستاذ الكتاني بهذه العبارة: « ولعلنا لا ننتبه إلى مقدار سخافتنا عندما نحاول أن نقيم الدليل على أن أدبنا لا يقل رفعة وشأنا عن آداب الأقطار العربية الأخرى معتمدين على الخيال الذي يبعثه الغرور بعظمة الذات، يجب أن نبحت مجردين عن العاطفة في دوائن مكاتبنا عن هذا الأدب الضائع ثم لتكلم بعد » .

وفي العدد 713 سنة 1941 يطالعنا الأستاذ زياد كعادته بأسلوبه الفكاهي الجميل بمفارقة غريبة في نظره تتعلق بقصيدتين لطالين، واحد منهما ينتسب إلى المدرسة العصرية وهو السيد عبد السلام العلوي، وآخر ينتمي إلى القرويين وهو الأستاذ عبد الغني سكيرج، (نشرت قصيدته بالعدد 706 مع إطرء وتنويه) وكان في اعتبار الأستاذ أحمد زياد أن الشعور الشعري سيكون من نصيب الطالب العصري، ولكن القضية انقلبت،

« ... فوضع السيد عبد السلام العلوي قصيدة في ترحيب مدرسته بالجلالة الشريفة أدام الله علاها، وهي منظومة على نهج البردة، ووضع سكيرج قصيدة يمكن أن يقال إنها معجزة من معجزات الطلبة، ولست أكذب أو أغلو حين أقول إن عبد الغني سكيرج أشعر من عبد السلام العلوي، وكان طبيعيا أن يقول الطالب القروي الدعاء، منتظرا أن يقول طالب المدرسة الحديثة الشعر، فانقلبت النتيجة، وأى شيء لم ينقلب في هذه الأيام. عجيب أن يحسن نظم الأدعية من يتعاطى دروس الجبر والفلسفة هكذا تعلموا أن تحكموا والله يوفقكم قولوا آمين » .

بجانب هذه الإشارات النقدية، اهتمت الصحيفة بنشر لون آخر من النقد وهو فضح السرقات الأدبية التي لم يخل منها زمان والتي يعبر عنها القدماء بقولهم « وقع الحافر على الحافر » ، وفي هذا الباب نورد بعض ما نشرته « المغرب » لنؤكد من جديد كذلك على خلو صحافتنا الحالية منه. وكان فارس الميدان صاحب ركن « ما قل ودل » الذي تزعم

حركة المتابعة والتعقب لما ينشر في الصحافة الأخرى ويكون فيه « وقع الحافر على الحافر
« كما سبق في العدد 833 (1941) تعرض الأستاذ زياد لقصيدته لشاعر تونسي نشرت
بمجلة « البدر » سنة 1921 ، فعمد أديب من مراكش إلى نص القصيدة ونسبه إلى نفسه
بتشبيهاها وألفاظها نشرتها له جريدة « التقدم » . وكان الأستاذ زياد قد توصل برسالة
بعثها أحد طلبة القرويين وهو السيد حسن الغسالي يحيله على مقارنة بين قصيدتين من
بحر واحد وقافية واحدة، الأولى بعنوان « يا ليل » والثانية بعنوان « أهواك يا ليل » مع
فارق الزمن بين القائلين.

وفي العدد 856 خبر سرقة أدبية أخرى صاحبها هذه المرة يسمى عمر البارودي الذي نشر
في مجلة « الزمان » قصيدة هي في الأصل للسيد ناصف الحسيني عنوانها « الحقيقة
الباقية » ، فنسبها البارودي لنفسه وجعل لها عنوانا جديدا هو « على قبر الحبيب لوعة
الذكر » دون أن يشق على نفسه في تغيير كلمات صاحبها الأول. وقد قال الذي اكتشف
ذلك وهو من فاس، رمز لاسمه بحرف الحاء، بأن هذا اللص الجديد نقل القصيدة من
العدد 143 السنة 4 من جريدة « المكشوف » وكانت تصدر في مصر في فترة
الثلاثينيات.

وفي العدد 862 خبر سرقة أخرى لشخص اسمه محمد الضرباني نشر في جريدة « الوداد »
عدد 123 بحثا عالي التفكير والتركيز بعنوان « الشعر والخيال » ، فتصدى له الأستاذ زياد
بقوله:

« إن الضرباني أخذ كل ما كتبه من كتاب اسمه « النقد الأدبي » تأليف الدكتور لاسل
كرمي أستاذ بجامعة لندن وقام بتعريبه الأستاذ محمد عوض أستاذ بالجامعة المصرية »
ثم يختم حديثه بقوله:

« إلى اللقاء يا أستاذ، يا من تلاميذه يعدون بالمئات والألوف واعلم أنني في خدمتك
فاسرق وما على غير الاكتشاف، ثم اعلم أن هذه السرقة لم تتلقاها من إسرافيل ولا نقلناها

عن الطامة الكبرى لأن الكلام قد شبعا منه ويسرني أن ترفع سلامي لإخوانك .
« اسرق » وأما بنعمة ربك فحدث .

وفي العدد 935 (1942) خبر سرقة أخرى، فقد نشرت جريدة « الوداد » بعدديها 135 و 136 قصة لكاتب وقع بـ « الأديب الحالم » . فأوضح الأستاذ زياد أنها قصة للكاتب الإيرلندي أوسكار وايلد قام بترجمتها الأستاذ جبرا ابراهيم جبرا الكاتب الفلسطيني المعروف، ونشرتها مجلة « الأمالي » في عددها رقم 51 من السنة الأولى عام 1939 .
وفي العدد 1042 (1942) حمل الأستاذ زياد في ركنه على أحد الشعراء لم يذكر اسمه استعمل في قصيدته ألفاظا غريبة مثل « الداناق » و « الدرياق » و « الأخراق » و « الناق » و « الذاق » وغير ذلك من قرقرة تنزه عنها الضفادع في أبي رقرق، محتما تعليقه بقوله:

« وهذا الرجل يرجع بنا مئات سنين إلى حيث الشنفرى وتأبط شرا . ما قولكم في هذا الشاعر وبأى شىء تحكمون عليه أو له » ...
يتضح مما سبق وجود حركة أدب ونقد وتبع وترصد مزدهرة في الثلاثينيات والأربعينيات من هذا القرن لم تقتصر على الاهتمام بها جريدة دون أخرى . وإن الذي يترصد حركة النقد في المغرب سيجد تسجيلا مهما للخصومات الأدبية التي شبت بين الأدباء آنذاك . إنما الذي يجب التنبيه عليه وبكل حسرة أننا نجد الآن هذا النوع من الأدب ونغض الطرف عن كثير من الهفوات والسرقات الفكرية، وتتكدس صفحات الجرائد بكلام يحتاج إلى محرر رقيب مترصد . أما المجالات والدوريات ففتتقد هي نفسها هذا النقد الذي ضاع في خضم المجاملات والحيثيات، ولن تزدهر حركة الأدب والعلم ... إلا إذا ... وارصدت في وجهها الأبواب حتى تنضج فتستحق عندئذ أن تشارك وتبرز .

المحاور الأساسية في جريدة « المغرب »

قضية فلسطين كاهتمام أساسي للصحافة الوطنية في المغرب

العلم - الأحد 8 يناير 1989

فلسطين في قلب كل عربي من الخليج إلى المحيط، وتحريرها هاجس يؤرق كل أذهان المسلمين أينما وجدوا إلى أن يتحقق ذلك بحول الله. لذلك كان حضورها في الصحافة العربية والإسلامية أمرا بديها. وبالنسبة لموضوع هذا البحث، فقد صادف ظهور جريدة « المغرب » وهي في عامها الثاني انعقاد مؤتمر للنظر في الإشكالية السياسية لفلسطين. ففي العدد 100 بتاريخ 4 فبراير 1939 خبر عن مؤتمر فلسطين الذي سينعقد يوم 7 فبراير 1939 وتحضره الأطراف المعنية - عرب فلسطين والممالك المجاورة مصر والعراق والحجاز واليمن وشرق الأردن وممثلو اليهود من أمريكا وجنوب افريقيا والوكالة اليهودية العالمية. وكتب مدير الجريدة في العدد 102 عن هذا المؤتمر موضحا الحق العربي في القضية وداعيا إلى إحلال السلام والعدالة في تلك الأراضي المقدسة ومن قوله:

« ومهما يكن من أهوال الماضي القريب وتعسفات القوة للانتصار على عرب فلسطين فالحق واضح كل الوضوح، وإن كل مخلص لقضية العروبة والإسلام يتمنى من صميم قلبه أن يؤدي المؤتمر إلى استقرار السلم وأن يسدل ستار كثيف على حوادث برهنت للعالم أجمع عن أية نفس يحمل العربي بين جنبيه، فإن كل محاولة لا تؤدي إلى إنصافه تؤدي حتما إلى اضطرابه العنيف » .

ثم حلل النزاع وأطرافه من عرب متشبثين بحقهم ويهود يحلمون بطرد العرب من ديارهم واستيطانها وإنجليز بصقتهم حماة ومستفيدين لمصلحة امبراطوريتهم التي لا

يخشون شيئاً كما يخشون من تهديدها وانتزاع السيطرة منها، وقال أيضاً:
« إن العرب لا يضمرون سوءاً لليهود ولكنهم حاربوا الصهيونية وسوف يحاربونها إن لم
تمت في مؤتمر لندن الحالي؛ فالصهيونية معناها الوحيد إبادة عرب فلسطين، ولكن أمم
العرب ستحول معنى الصهيونية هذا إلى إبادة اليهود إذا لم يتفقوا مع العرب على إحقاق
الحق » .

وفي العدد 104 تحبر الجريدة أن المواجهات بين الفلسطينيين واليهود في فلسطين لم
تنقطع، وأن مؤتمر لندن قد أمضى أسبوعه الأول في حل النزاعات بين الأطراف العربية
المثلة في المؤتمر؛ ثم في خبر أوردته الجريدة في نفس العدد أن مطالب العرب الذي
قدمها جمال بك الحسيني رئيس الوفد الفلسطيني في المؤتمر تتلخص في وقف الهجرة
الصهيونية والاعتراف باستقلال فلسطين وإبطال وعد بلفور وإبطال الانتداب على أن
يستمتع اليهود بما للأقليات من حقوق. لكن مطالب اليهود التي قدمها وايزمان لم يصدر
عن محتوياتها أى بلاغ.

وفي نفس العدد كذلك خبر عن تبرع الجالية المغربية في نيويورك بمبلغ 6000 فرنك
أوردت هذا الخبر جريدة « البيان » التي كانت تصدر بنيويورك في الفترة المذكورة.
وقالت الجريدة:

« إن السادة محمد بن محمد التتاني ومحمد بن البشير المراكشي وعبد السلام بن تهامة
السعيدي زاروا إدارة جريدة « البيان » ودفعوا 165 دولاراً تبرعاً منهم ومن سائر أفراد
الجالية المغربية بنيويورك لنكوبي فلسطين » .

وفي العدد 109 نقلت جريدة « المغرب » تعليقا سياسيا بمناسبة انعقاد المؤتمر المذكور
كتبته جريدة « الدايلي إكسبريس » يقول التعليق:

« ... إن هذه الحالة لا يمكن أن تستمر، فيجب أن ندرك، ويدرك معنا اليهود أن العرب
هو أهل فلسطين. وإذا كان اليهود قد استقروا في البلاد منذ ألوف السنين، فهذه الحقيقة

لا تعطيم الأولوية في الوقت الحاضر؛ فالرومان عاشوا في بريطانيا منذ ألفى عام ولكن ليس معنى هذا أن أصحاب المطاعم من الإيطاليين في لندن يستطيعون أن يدعون أن لهم حق الإشراف على الحكومة في « وايت هول » ، ومع ذلك يجب على العرب أن يذكروا أن اليهودي استقر في فلسطين بمساعدة الحكومة البريطانية وحماتها وأن هذه الحماية لا يمكن نقضها أو رفضها الآن » .

وفي العدد 119 خبر عن فشل المؤتمر الفلسطيني المشار إليه بسبب رفض العرب واليهود معا البرنامج الذي تقدمت به إنجلترا. أما العرب فإنهم رأوا فيه هضما لحقوقهم، أما اليهود فإنهم رأوا فيه نقصا من عدد من الامتيازات التي طالبوا بها. وقد علقت الجريدة على فشل المؤتمر بأن اليهود كانت أمامهم فرصة للاتفاق مع العرب وما يالت هذه الفرصة وهي أن يتنازلوا عن أمانهم في تأسيس دولة صهيونية في أرض عربية عرفت الشهامة العربية كيف تحافظ عليها وكيف تدافع عن كل شبر منها » .

وقد رأيت إلحاقا بهذا الموضوع أن أثبت رأيا لأحد الزعماء المرموقين في تلك الفترة، وأعني به غاندي زعيم الهند الذي ورد في العدد 125 من جريدة « المغرب » . إن غاندي كتب إلى جريدة « سانداي ريفي » رسالة يقول فيها بأنه تلقى بضع رسائل تطلب منه إعلان رأيه في مسألة العرب واليهود في فلسطين وفي اضطهاد اليهود في ألمانيا، فأجاب أصحاب الرسائل بواسطة الجريدة المذكورة قائلا (باختصار) :

« إنهم يجب أن يعاملوا أينما ولدوا معاملة منصفة عادلة، ولكن إذا أعطى اليهود وطننا في فلسطين فهم يستمرون في فكرة إرغامهم على ترك البلدان الأخرى التي استقروا فيها » . وقال: « ليرهن اليهود على أنهم يستحقون لقب « شعب الله المختار » فيختارون طريقا بعيدا عن العنف لإثبات مركزهم في العالم؛ وكل بلد هو وطن لهم ومنه فلسطين، ولكن لن يكون ذلك بالعنف والاعتداء بل بالمحبة » .

وظاهر أن هذا الرأي فيه من المراوغة والمجاملة الشيء الكثير كما هو واضح .

وضعية اليهود المغاربة في فترة من عهد الحماية

شهدت فترة الحرب العالمية الثانية عددا من التقنيات الخاصة باليهود في أوروبا. وبالمثل أصدرت إدارة الحماية بالمغرب تنظيمات جديدة يتيين من خلالها أن اليهود ربما كانوا يهربون من الواجبات المفروضة على باقي المواطنين في زمن الحرب، فجاءت تلك التنظيمات لتحرّمهم من بعض الحقوق والامتيازات. ومنها في المغرب أن لا يسمح لهم إلا بالتجارة والصناعة المفصلة، ويمنع عنهم عقد القروض مهما كان نوعها، ويلزمون بإجراء عملية إحصاء عليهم، بحيث يجب على كل يهودي مغربي أن يصرح بشخصه لدى الباشا أو القائد، وعلى كل يهودي أجنبي أن يصرح بشخصه لدى رئيس الناحية مع بيان الأسم المالية والأموال والبيع والبضائع التي يملكونها (عدد 749 بتاريخ 9 غشت 1941) .
وصدر كذلك نص قانون خاص باليهود في المغرب، وهو نوعان: الأول خاص باليهود الفرنسيين، والثاني باليهود المغاربة، ونحوه منع اليهود من مزاولة الأمور التالية:

أعضاء بالمجالس التحكيمية والمهنية وسائر الهيئات النيابية الناتجة عن الانتخابات، ولا يكونون محكمين ولا موظفين رؤساء للإدارات المغربية ولا في إدارة الشؤون السياسية، ولا موظفين ملحقين بسكرتارية العدلية الفرنسية ولا موظفين أمام المحاكم المغربية الشريفة ما عدا المحاكم الإسرائيلية، ولا ملحقين بمصالح الشرطة ولا بالتعليم ما عدا بالمؤسسات المخصصة لليهود، ولا يزاولون مهنة الدفاع أمام المحاكم العدلية الشريفة ولا خبراء شرعيين أو تراجمة محلفين ما عدا المكلفين بالترجمة إلى اللغة السريانية ويزاولون تلك الأعمال إلا متى كانوا يحملون ورقة المحاربين وحظوا بالتنويه خلال الحرب ولهم وسام حربي وأن يكونوا حائزين للاستحقاق العسكري المنيف، ويستطيع اليهود المغاربة أن يتعاطوا التجارة والصناعة بكل حرية. ثم ينص الفصل الرابع والفصل الثامن من القانونين على منع اليهود المغاربة من أن يكونوا مكلفين بالأبنك وكل ما يتصل ببورصة

المال والمنع من إصدار أي صحيفة أو الإشراف عليها ما عدا النشرات ذات الصبغة العلمية أو الدينية (عدد 751) .

ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل إن المقيم العام الفرنسي بالمغرب تقدم بقرار يحتم على جميع اليهود القاطنين بالأحياء الأوربية الجديدة منذ فاتح شتنبر 1939 أن يرجعوا إلى ملاحظاتهم المخصصة لسكناهم، وصدر قانون بذلك نشر بالجريدة الرسمية أعطى أجلا لاجلائهم عن تلك الأحياء (عدد 757) .

وفي العدد 758 نشرت جريدة « المغرب » أن مندوب الحكومة الفرنسية في مسألة اليهود زار المغرب وصرح:

« أن الغرض من زيارته لأقطار افريقيا الشمالية هو درس قضية اليهود الجزائريين ودرس القوانين التي أعطيت لليهود المغرب وتونس وكذلك درس نفوذ اليهود الاقتصادي وكيفية القضاء عليه » .

وفي شهر اكتوبر 1941 صدر قرار نشر بالجريدة الرسمية ينظم تعاطي مهنة المحاماة من لدن اليهود، وحدد القرار نسبة 2% لليهود المرخص لهم بتعاطي المهنة من مجموع المحامين غير اليهود. وما بقي يجب أن يعتزلوا المهنة في أجل لا يتعدى شهرين.

المحاور الأساسية في جريدة « المغرب »

أخبار متفرقة لها دلالاتها

العلم - الأحد 15 يناير 1989

لقد اخترت من بين مئات الأخبار التي تشتمل عليها جريدة « المغرب » هذه التي أدرجتها هنا لدلالاتها ولطرافتها ولما يمكن أن يستنتج منها الباحث في هذه الفترة من استنتاجات تاريخية واجتماعية واقتصادية وسياسية كذلك؛ وهذه الأخبار كالتالي:

1 (حادثة ماء أبي فكران بناحية مكناس (العدد 61 بتاريخ 6 شتنبر 1937)
وصف مراسل الجريدة غليان الشعب والإضراب العام في مكناس « حيث ما زالت المدينة محاصرة حصارا عظيما، فالجنود أينما سرت و (المتويوزات) في جميع الشوارع، وحفاظ الأمن يراقبون المارة، والمدينة مضطربة، وجميع دكاكينها من دون استثناء مغلقة، فالإضراب العام بصورة تثير كل الإعجاب وتستحق كل ثناء للمكناسيين، وبالرغم عن جميع تلك التدابير فإن الاجتماعات متوالية، والحالة حرجة، والنفوس في غليان متزايد، والحركة الاحتجاجية منظمة كل التنظيم » .

أما قصة ماء أبي فكران فقد كان الاستعمار الفرنسي يهد السبل أمام المعمرين الذين يستوطنون الأراضي المغربية ويقطعهم الإقطاعات الفلاحية المهمة. ولما كانت مكناس ونواحيها من أجود المناطق الفلاحية، فقد استوطنها وناحيتها جماعة وافرة من المعمرين الأجانب بتعزيز من الإقامة العامة الفرنسية؛ وكانت مكناس بقصورها الجميلة وحدائقها الغناء ورياضها وأراضيها الفلاحية المجاورة تعيش على ماء أبي فكران الذي ينبع من عيون موجودة بآية بورزين دائرة الحاجب. وكانت هاته العيون تروي المدينة ومساجدها

وبساتينها، فأصدرت الإدارة الاستعمارية قرارا بتاريخ 12 نونبر 1936 يقضي بتقسيم ماء أبي فكران بين مدينة مكناس والمعمرين ليستغلوه في سقي الأراضي الفلاحية التي استولوا عليها بالقوة، وفي 12 ابريل 1937 أصبح ذلك القرار نافذ المفعول بعد نشره في الجريدة الرسمية. فتضررت المدينة من ذلك التوزيع، وقام سكانها من مختلف الطبقات بكتابة عرائض واحتجاجات رفعت إلى جلالته الملك وإلى المقيم العام الفرنسي وإلى حاكم الناحية الفرنسي، وتأسست لجنة الدفاع عن ماء أبي فكران. وكان الشاعر الذي رفعته هذه اللجنة : « الماء ماؤنا نغديه بأرواحنا » . ونظمت مظاهرات متعددة بمكناس خصوصا بعد تقديم خمسة من أعضاء اللجنة للمحاكمة، ووقعت المواجهة بين الجيش الفرنسي وبين المتظاهرين يوم ثاني شتبر 1937 ، وكانت حصيلة الشهداء في المعركة 20 شهيدا وعددا كبيرا من الجرحى والمصابين اكتظ بهم مستشفى مكناس. لقد فقدت مكناس كثيرا من أبنائها ولكنها حافظت على ماء أبي فكران الذي يسقيها ويزيد من خيراتها.

ولمن أراد الاطلاع بتفصيل عن هذه الحادثة الوطنية فليرجع إلى كتاب « التبيان لمعركة أبي فكران » لمؤلفه الأستاذ ابراهيم الهلالي الذي كان أحد الأشخاص الذين شاركوا في تلك الأحداث.

2) الميثاق الآسيوي أو ميثاق « سعد أباد »

وفي العدد 61 كذلك خبر مثير ولكن لم يكن ذا مفعول بالنسبة للأمة العربية والإسلامية لأنها كانت في غفلة عما يجري حولها. وإثارة الخبر تأتي من كون الدول الأوربية كانت بالمرصاد لكل وحدة عربية أو إسلامية وتحسب لها ألف حساب وتحاول بكل الوسائل عرقلتها بكل وجه.

الخبر هو الميثاق الآسيوي أو « ميثاق سعد أباد » الذي عقد بين العراق وتركيا وإيران وأفغانستان، وفي هذا الصدد نقلت جريدة « المغرب » عن مجلة « فو » ما يلي :

« إن ميثاق الصداقة الذي عقد بين الدول الإسلامية الأربع يجب أن نعده سياسة

جديدة وضعت أسسها في العالم، وعلى الساسة الأوربيين أن يلتفتوا إليها بالعناية والاهتمام؛ إنها ليست خطة عادية ولا تستحق التبصر، كلا إنها تدلنا على اتجاه خطر يجعل للأمم الإسلامية قوة منظمة كانت تفتقر إليها منذ القديم ... ولن يتأخر الوقت إلا وتدخل في هذا الميثاق دولة مصر واليمن والمملكة العربية السعودية، وهكذا تجد أوروبا نفسها أمام كتلة إسلامية تلعب دورا خطيرا في سياسة العالم المقبلة « .

بهذه الروح كانوا يتبعون ويراقبون أحوال الأمة الإسلامية، وقد استطاعوا إلى يومنا هذا تمزيق الصف، وبعثة الوحدة الإسلامية، وبث أسباب العداوة بينها لتشتغل معالم السلاح ودور النقد عندهم.

3) احصاء عن آلات الراديو بالمغرب

عدد 104 إحصاء رسمي عن آلات الراديو بالمغرب بلغ في فاتح سنة 1939 (38714) جهاز منها 7000 يملكها المغاربة.

4) وباء التيفوس بمدينة فاس

عدد 873 (1942) خبر يقول: بعد أن خفت وطأة الجذري عاد إلى الظهور وباء التيفوس بصورة فظيعة، فهمر شبانا في مقتبل العمر وأصاب جماعة آخرين من نهباء المدينة. وإنما ننصح أهالي فاس بالمحافظة على النظافة وعدم ولوج المجتمعات العامة فإن هذا الوباء جد خطير.

5) وفاة الملك غازي عاهل العراق

عدد 126 بتاريخ 5 مارس 1939 خبر عن وفاة الملك غازي عاهل العراق في حادثة اصطدام، وتنصيب ولي العهد فيصل (أربع سنوات) ملكا وتعيين الأمير عبد الإله وصيا. وقد أقيمت في مدينة فاس والرباط صلاة الغائب على هذا الفقيد الكبير.

6) قائمة التموين بمدينة الرباط سنة 1942

عدد 875 نشرت الجريدة لائحة بالقدر المعين لكل شخص من التموين وهي:

السكر 800 غ - الشاي 20 غ - الزيت 350 غ - الصابون 125 غ - الأرز 20 غ - الكربون يعطى لجميع أصحاب الحرف، أما البترول فيوزع بمقدار نصف لتر للعائلة التي لا تستعمل النور الكهربائي، والفحم 3 كيلوغرام للشخص الواحد، والعائلات التي تزيد على 15 نفرا 20 كيلوغرام، ولم تبن الجريدة هل هذه الحصص أسبوعية أم شهرية. وفي العدد 808 من نفس السنة إعلان عن تموين المغرب باللحوم حيث تقرر إغلاق مخازن الجزائر الأوربيين من فبراير إلى مارس، ويزاد لهم في حصة لحم الخنزير والزيت والبيض ويستمر الذبح للمغاربة ويمنع منعاً باتاً تقديم اللحوم عند العشاء في المطاعم العمومية.

7) استنكار العادات المستهجنة بمناسبة المولد النبوي

عدد 134 لسنة 1939 طالب بتنفيذ الأمر الصادر بمنع المهرجانات الأثيمة التي تقيمها الطوائف الضالة بمناسبة المولد النبوي. وقد نفذ الأمر في الرباط ولم ينفذ في سلا. وتلح الصحيفة على فتح تحقيق مع المسؤولين المتهاونين في تنفيذ الأوامر. والمقصود بهذه الأوامر الظهير الشريف الذي كان جلالة الملك محمد الخامس رحمه الله قد أصدره، يمنع فيه تلك الطوائف من عاداتها السمجة، لكن إدارة الحماية تدخلت في الأمر وأحبت بقاء تلك العادات استجلاباً للسياح ليروا من المناكر والعادات ما لا يسمح برؤيته في بلاد أخرى.

ختاماً: هذه نظرات عن جريدة « المغرب » يتلخص منها للقارئ حياة صحيفة وطنية ساهمت مع أخواتها قبلها وبعدها في رسالة التوعية للشعب ومحاربة الاستعمار. ولنا بحول الله عودة أخرى للتعريف بصحيفة « الأطلس » لسان حال « كتلة العمل الوطني » التي كانت تصدر سنة 1937.

عبد الصمد العشاب - طنجة -